الحسبة عند الأوزاعي

خالد بن حسن العبري

مقدمة:

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله، أما بعد:

عاش الإمام الأوزاعي تسعة وستين عامًا (٨٨-١٥٧هـ) وأدرك العهدين الأموي والعباسي وكان قائمًا بالحسبة من الناحية التطبيقية بصفتها العبادية لا الرسمية، وإن كان مصطلح "الحسبة" لم يكن معروفًا أو شائعًا في عصره بمعنى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلا أنه يظهر لي أن هذا المصطلح بهذا المفهوم ظهر في أواخر عهد الأوزاعي حيث كانت أول الإشارات الصريحة إلى لفظ الحسبة قبل سنة ١٤١هـ في ترجمة عاصم بن سليمان الأحول (ت: ١٤١هـ وقيل: ١٤٢هـ وقيل: ١٤٣هـ) وهو محتسب المدائن[١]، وقيل: محتسب الكوفة[٢]، فربما كان محتسبًا بالكوفة وقاضيًا بالمدائن، كما جاء في **تاريخ بغداد**

١- كما صرح به ابن أبي حاتم في **الجرح والتعديل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٦، ص ٣٤٣، والحافظ المزي في **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ ج ٣، ص ٤٨٦، والذهبي في **سير أعلام النبلاء**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج ٦، ص ١٣. ونقل الخطيب البغدادي في **تاريخ بغداد**، دار الكتاب العربي، ج ١٢، ص ٢٤٢، ٢٤٥٢، عن يحيى بن معين أنه كان على سوق المدائن، وعبدالكريم السمعاني، **الأنساب**، تحقيق: عبدالله البارودي، دار الجنان، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، ج١، ص ٩٢.

٢- صرح بذلك محمد بن سعد بن منيع الزهري، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت، ١٣٨٨هـ، ج ٧، ص ٢٥٦. وصرح به الخطيب البغدادي في **تاريخه**، ج ١٢، ص٢٤٥، وفي موضع آخر نقل عن ابن سعد: أنه كان بالكوفة في الحسبة على المكاييل والموازين، ج ١٢، ص ٢٤٧. ومثله فعل المزي في **تهذيب الكمال**، ج ٣، ص ٤٩٠.

أنه: "كان على سوق الكوفة، ثم ولي قضاء المدائن"[٣]. وذكر ابن سعد في **الطبقات** أن عاصمًا كان يتولى الولايات فكان بالكوفة على الحسبة في المكاييل والأوزان، وكان قاضيًا بالمدائن لأبي جعفر المنصور[٤].

وعاصم بن الأحول من أوائل محتسبي العصر العباسي، كما هو مصرّح به عند ابن سعد في **الطبقات**[٥]. والبعض يذكره محتسبًا في عصر الأمويين[٦]، وهو احتمال وارد لأن عاصما أكبر من محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[٧] قاضي الكوفة، الذي استقضاه عليها الأمير يوسف بن عمر الثقفي عامل بني أمية[٨]، واستمر إلى زمن أبي العباس السفاح[٩]، وربما استمر إلى وفاته قاضيًا سنة ١٤٨هـ. والذي لا شك فيه أن عاصمًا كان محتسبًا في عصر الأوزاعي قبل أن تكون بغداد عاصمة الخلافة، وذلك بالنظر إلى تاريخ وفاته ١٤١هـ وتاريخ بناء بغداد ١٤٦هـ، ولكن لا دليل يصرح بأنه كان محتسبًا للأمويين بل العكس هو الصحيح.

وكذلك من الإشارات الصريحة إلى لفظ "الحسبة" في عصر الأوزاعي خبر تولية المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) أحد الناس الحسبة، فهذا يدل على استقرار لفظ "الحسبة والمحتسب" في أواخر عصر الأوزاعي[١٠].

هذا فيما يتعلق بمصطلح "الحسبة" في عصر الأوزاعي، أما ما يتعلق بالحسبة من الناحية التطبيقية فلها شأن آخر. فإن كان المراد: الحسبة بوصفها ولاية فهي موجودة ومستقر العمل بها، بغضّ

٣- **تاريخ بغداد**، ج ١٢، ص ٢٤٥. وانظر: **الطبقات الكبرى**، ج ٧، ص ٣١٩، ٢٥٦.

٤- **الطبقات الكبرى**، ج ٧، ص ٣١٩، ٢٥٦.

٥- **الطبقات الكبرى**، ج ٧، ص ٣١٩ و ٢٥٦. ونقل عنه الخطيب في **تاريخ بغداد**، ج ٢، ص ٢٤٧، والمزي في **تهذيب الكمال**، ج ٣، ص ٤٩٠.

٦- كما فعل صالح العلي في مقدمته لكتاب ابن بسام المحتسب، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، طبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٨م، الصفحة (ش)، وأحمد عبد الرزاق أحمد في كتابه **الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى**، ص ١١٣.

٧- محمد بن خلف بن حيان المعروف بوكيع، **أخبار القضاة** عالم الكتب، بيروت، ج ٣، ص ١٣٢.

٨- **سير أعلام النبلاء**، ج ٦، ص٣١٢.

٩- **أخبار القضاة**، ج ١، ص ١١٩.

١٠- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي، **المنتظم في تاريخ الملوك والأمم**، تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ج ٧، ص٣٤٠-٣٤١، وانظر: الحافظ ابن كثير، **البداية والنهاية**، مكتبة المعارف، بيروت، ط ٤، ١٤٠١هـ، ج ١٠، ص ١٢٣.

النظر عن مصطلح الحسبة وجودًا وعدمًا، لأنها قد تسمى بغير هذا الاسم كتسميتها بولاية السوق[١١]. وإن كان المراد: الحسبة بوصفها عبادة فهي قائمة في عصر الأوزاعي وفي غيره من العصور، يعمل المسلم بالقيام بهذه الشعيرة تنفيذًا لأمر الله تعالى، وقد كان واقع الحسبة قويًا آنذاك لأسباب عديدة منها توافر أهل العلم والتقى من التابعين وغيرهم.

واخترت الكتابة في هذا الموضوع وهو: "الحسبة عند الأوزاعي"، لأسباب منها: تميز شخصية الأوزاعي ومعاصرته لعدة خلفاء واحتكاكه بطبقات شتى من الناس مما أكسبه خبرة طويلة. ومن الأسباب أيضاً تنوع أساليب الأوزاعي الاحتسابية والتي أرى أن نقلها يفيد المحتسبين في عصرنا. نهجي فيه تناول مجالات الحسبة عند الأوزاعي سواء أكان ذلك من الناحية النظرية أم التطبيقية، وكذا لو عثرت على ما يشير إلى الحسبة في مرويات الأوزاعي من الأحاديث والآثار فسوف يضمّن في هذه الأوراق مستعينا بالله تعالى.

وتفاديًا للتكرار ولبعده عن مضمون بحثي لم أكتب عن سيرة الأوزاعي من حيث المولد والنشأة والوفاة وشيوخه وتلاميذه ومكانته العلمية، لأن ذلك مدون في كتب السير والتاريخ، بل لقد ألف عن الأوزاعي على سبيل الاستقلال. ومن تلك الكتب: **محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي**، كان شكيب أرسلان قام على طبع هذا الكتاب، لكنه لم يتمكن من الاهتداء إلى تعيين صاحبه، وذكر اسم ناسخه وهو زين الدين بن تقي الدين بن عبدالرحمن الخطيب، ونسخه سنة ١٠٤٨هـ وأن الناسخ لم يعرّف بنفسه ولا ببلده[١٢]. قلت: نص السخاوي أنه لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن زيد الدمشقي الحنبلي ت٨٧٠[١٣].

كما ذكر شكيب أرسلان أنه الكتاب الوحيد الذي عثر عليه خاصًا بترجمة الأوزاعي وأنه هذا ما انتهى إليه. قلت: المدقق في **محاسن المساعي** يجد أن جل ما فيه إن لم يكن كل ما فيه مذكور في **البداية والنهاية** والسير للذهبي وغيرهما، وقد ذكر الزركلي أن لصالح بن يحيى التنوخي البيروتي كتابًا في سيرة الأوزاعي، بل ذكر أنه لما طبع شكيب **محاسن المساعي** ظُنَّ أنه لصالح بن يحيى ثم تبين بعد ذلك أنه

١١- **سير أعلام النبلاء**، ج ٤، ص ٤٤٨. خلف بن عبد الملك الشهير بابن بشكوال، **الصلة في تاريخ أئمة الأندلس وعلمائهم ومحدثيهم وفقهائهم وآبائهم**، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤١٤هـ، ج ١، ص ٢٩٦.

١٢- زين الدين الخطيب، **محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعي**، مطبعة عيسى البابي الحلبي، مصر، ص ٤.

١٣- شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، مكتبة الحياة، بيروت، ج٢، ص٧٢.

لأبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر بن زيد[١٤]. وكذا من الكتب الخاصة بترجمة الأوزاعي: كتاب **إتحاف الراغب الواعي في ترجمة الأوزاعي** لمحمد بن يوسف الصالحي الدمشقي ت٩٤٢هـ[١٥]. هذا وقد اطلعت على بحثين مكملين للماجستير بعد كتابتي هذه الأوراق أحدهما بعنوان: "الإمام الأوزاعي محتسبًا من خلال رسائله ونصائحه دراسة وتحليل"، لعوض رويشد السحيمي، والآخر بعنوان: "الإمام الأوزاعي ومنهجه في الدعوة"، لعبدالرحمن بن إبراهيم الغفيص، كلاهما مكملان لنيل درجة الماجستير من كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وقد تسنى لي الحصول عليهما وقراءتهما، وألفيت أني غطيت جوانب لم يتطرقا إليها كما سيظهر لقارئ هذا البحث، فالأول اقتصر على جوانب رسائله سواء للولاة أم الأفراد أم الجماعات، والآخر أسهب في جوانب حياة الأوزاعي العلمية ولم يتطرق لأساليبه إلا في المبحث الثالث من الفصل الثالث.

توطئة في أهمية الحسبة:

يتبين فضل الحسبة وأهميتها من عدة وجوه، أهمها ما يلي:

- أنه قد جاء الأمر بها في قول الله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١٦]، وفي قول النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث المرفوع عن أبي سعيد: "من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان"[١٧].

- أنها سبب لخيرية هذه الأمة، قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾[١٨]، فبين الله تعالى أن من أسباب خيرية هذه الأمة قيامها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وجاء عن أبي هريرة رضي الله عنه في تفسيره لهذه الآية قوله: "خيرُ الناس

١٤- خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١، ١٩٩٥م، ج ٣، ص ١٩٨، ٣٢٠. قلت: ومن المعاصرين ألف عبد العزيز سيد الأهل كتابا بعنوان: **الإمام الأوزاعي فقيه أهل الشام**.

١٥- أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج٨، ص ٢٥١، الزركلي، **الأعلام**، ج ٣، ص ١٥٥.

١٦- سورة آل عمران، الآية: ١٠٤.

١٧- **صحيح مسلم بشرح النووي**، كتاب الإيمان، باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ٢، ص ٢١، وأصحاب السنن وأحمد وغيرهم.

١٨- سورة آل عمران، الآية: ١١٠.

للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام"(١٩). وقال ابن كثير موضحًا هذه الصفة من صفات المؤمنين: "ينفعون خلق الله، ويرشدونهم إلى طاعة الله بأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، مع العلم بما ينبغي فعله ويجب تركه وهو حفظ حدود الله في تحليله وتحريمه علمًا وعملًا، فقاموا بعبادة الحق ونصح الخلق"(٢٠). وقال القرطبي عن هذه الآية: "إنها مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك واتصفوا به فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم اسم المدح ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سببًا لهلاكهم"(٢١).

- أنها من أخص أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾(٢٢)، يقول ابن كثير: "هذه صفة النبي صلى الله عليه وسلم في الكتب المتقدمة"(٢٣).

- أنها من أخص أوصاف المؤمنين، قال تعالى: ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(٢٤). وعلى العكس من ذلك جاء وصف المنافقين قبل هذه الآية فقال: ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ... ﴾(٢٥)، قال القرطبي: "فجعل تعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرقًا بين المؤمنين والمنافقين، فدل على أن أخص أوصاف المؤمنين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ورأسها الدعاء إلى الإسلام والقتال عليه"(٢٦).

- أن من تركها فهو معرض للعن والعذاب، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ

١٩- **صحيح البخاري**، كتاب التفسير، باب كنتم خير أمة أخرجت للناس، ح ٤٥٥٧.

٢٠- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، دار القلم، بيروت، ج ٢، ص ٣٣٨.

٢١- محمد بن أحمد القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٩٦٦م، ج ٤، ص ١٧٣.

٢٢- سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

٢٣- ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، ج ٢، ص ٢٨٢.

٢٤- سورة التوبة، الآية: ٧١.

٢٥- سورة التوبة، الآية: ٦٧.

٢٦- **الجامع لأحكام القرآن**، ج ٤، ص ٤٧.

لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾[٢٧]. قال ابن النحاس: "وهذا غاية التشديد ونهاية التهديد عن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بين سبحانه أن السبب في لعنهم هو ترك التناهي عن المنكر، وبين أن ذلك عصيان منهم واعتداء، وأن ذلك بسبب الفعل فاعتبروا يا أولي الألباب"[٢٨]. وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[٢٩]. وقال صلى الله عليه وسلم: "ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي هم أعز منهم وأمنع لا يغيرون إلا عمهم الله بعقاب"[٣٠]. والنصوص في هذا المعنى كثيرة وواضحة جدًا.

الفصل الأول: الأساليب الاحتسابية عند الأوزاعي:

المبحث الأول: أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر:

تعددت أعمال العالم الإمام الأوزاعي من فتيا ووعظ وتأليف ومرابطة في سبيل الله كما أنه موصوف بالعلم ومشيخة الإسلام[٣١]، ومن تلك الأعمال القيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا الواجب سمة من سمات أهل الإيمان وبضده وصف المنافقون كما نص القرآن على ذلك. ويدل على اتصاف الأوزاعي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أنه في العهدين اللذين عاصرهما: الأموي والعباسي، أدرك تسعة خلفاء أمويين وخليفتين عباسيين، وكانت علاقته بالخلفاء هي علاقة نصح وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر مهما اختلف الأسلوب كما سيأتي بإذن الله، ولم تهتز له مكانة ولم تختل له منزلة عبر تلك المدة الطويلة.

٢٧- سورة المائدة، الآيتان: ٧٨-٧٩.

٢٨- ابن النحاس، **تنبيه الغافلين عن أعمال الجاهلين**، دار المعارف، الرياض، ص ٦١.

٢٩- سورة الأنفال، الآية: ٢٥.

٣٠- **سنن ابن ماجة**، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ح ٤٠٠٩، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣١- من الأئمة الذين قيل فيهم "شيخ الإسلام": سعيد بن المسيب، والحسن البصري، ومحمد بن المنكدر، ويحيى بن سعيد، وسليمان التيمي، والأعمش، والأوزاعي، وشعبة بن الحجاج، وحماد بن سلمة وغيرهم. والأوزاعي فقيه محدث وُصف بأوصاف أخرى، قال عنه مالك وابن عيينة: إمام زمانه. وقال إسماعيل بن عياش: سمعت الناس سنة أربعين ومائة يقولون: الأوزاعي اليوم عالم الأمة. وقال ابن كثير: "بقي أهل دمشق وما حولها من البلاد على مذهبه نحو من عشرين ومائتي سنة"، **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١١٥.

ومن حسبته أنه كان ناصحًا للإسلام وأهله، شهد بذلك أهل عصره، قال موسى بن بشار وكان قد صحب مكحولًا: "ما رأيت أحدًا قط أحدّ نظرًا ولا أنقى للغل عن الإسلام من الأوزاعي"(٣٢). وقال محمد بن عجلان: "لم أر أحدًا أنصح للمسلمين من الأوزاعي"(٣٣).

ومن حسبته صدعه بالحق، قال محمد بن شعيب: "قلت لأمية بن يزيد: أين الأوزاعي من مكحول؟ قال: هو عندي أرفع من مكحول، إنه قد جمع العبادة والعلم والقول بالحق"(٣٤).

وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته، وجلالته وعلو مرتبته، وكمال فضله وزهده وورعه وعبادته وقيامه في الحق. ومع احترام الخلفاء والولاة له فإنه كان يرفع حوائج الناس إلى الولاة، ويسعى في خدمتهم، المسلمين منهم والنصارى. قال ابن كثير: "كان الأوزاعي في الشام معظما مكرما أمره أعز عندهم من أمر السلطان"(٣٥)، "وكان لا يدخل أبواب السلاطين إلا واعظًا أو آمرًا بمعروف أو ناهيًا عن منكر"(٣٦).

ومن حسبته إنكاره ما يرى أو يسمع من المخالفات في الأماكن العامة، ومن ذلك إنكاره الكذب بأنواعه مقصودا أم غير مقصود، فقد خرج يوما من باب مسجد بيروت وهناك دكان فيه رجل يبيع الناطف(٣٧) وإلى جانبه رجل يبيع البصل وهو يقول: يا بصل أحلى من العسل، أو قال أحلى من الناطف. فقال الأوزاعي: سبحان الله! أيظن هذا أن شيئا من الكذب يباح؟ فكأن هذا ما يرى في الكذب بأسًا(٣٨).

وكذا في المجالس الخاصة حين نهى عن المدح في الوجه، قال الفريابي: "كنت في مجلس فيه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز وسليمان الخواص فذكر الأوزاعي الزهاد فقال الأوزاعي: ما نريد أن نرى في دهرنا مثل هؤلاء، فقال سعيد بن عبدالعزيز: سليمان الخواص ما رأيت أزهد منه، وكان سليمان في

٣٢- أبو عبدالله الحاكم، **معرفة علوم الحديث**، تحقيق: السيد معظم حسين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٣٩٧هـ، ص٦٥.

٣٣- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤.

٣٤- **محاسن المساعي**، ص ٩١.

٣٥- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٧.

٣٦- عزاه خالد روشه لابن كثير في مقال "الإمام الأوزاعي قدوة العلم والعمل والإصلاح"، نشر في موقع المسلم نت بتاريخ ٢٤/ ١١/ ١٤٢٧هـ، ولم أجده في المطبوع من **البداية والنهاية** بعد تكرار البحث.

٣٧- نوع من الحلوى.

٣٨- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤ و**محاسن المساعي**، ص ٨٢-٨٣.

المجلس ولا يعلم سعيد فرفع سليمان رأسه وقام فأقبل الأوزاعي فقال: ويحك لا تعقل ما يخرج من رأسك تؤذي جليسنا تزكيه في وجهه"(٣٩).

ومما يستأنس به في هذا المقام ما رواه عن نفسه في رؤيا رأها، قال الأوزاعي: "رأيت كأن ملكين عرجا بي، وأوقفاني بين يدي رب العزة، فقال لي: أنت عبدي عبدالرحمن الذي تأمر بالمعروف؟ فقلت: بعزتك أنت أعلم. قال: فهبطا بي حتى رداني إلى مكاني"(٤٠).

ومما يلاحظه المتتبع لسيرة الأوزاعي ومواقفه في حسبته أنه رحمه الله كان رفيقًا في مواقفه على صلابة في الحق، فلا غرابة فهو أحد الرواة في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله"(٤١)، وهذا من تأثير الحديث فيه وعليه وكمال امتثاله له. وعن ابن المبارك قال: "لو قيل لي اختر لهذه الأمة لاخترت سفيان الثوري والأوزاعي ولو قيل لي اختر أحدهما لاخترت الأوزاعي لأنه أرفق الرجلين"(٤٢).

ومن حسبته اجتهاده في الموعظة، فلم يهمل الوعظ بالرغم من اشتغاله بالعلم والفتيا، قال أبو نعيم في **الحلية**: "الأوزاعي يكثر كلامه ومواعظه ورسائله وهو أحد أئمة الدين وأعلام الإسلام"(٤٣). وكما ذكرت آنفًا بأنه غلب عليه العلم والفقه والفتيا، إلا أنه لم يغفل أسلوب الوعظ قال الوليد بن مسلم: "كان الأمر لا يتبين على الأوزاعي حتى يتكلم فإذا تكلم جل وملأ القلوب"(٤٤). فمنَّ الله عليه بالفصاحة والبيان، وحسن الموعظة التي تلامس القلوب حتى لا ترى في المجلس إذا وعظ إلا باكيًا أو خاشعًا. قال العباس بن الوليد عن أبيه: "كان الأوزاعي إذا ذكر النار لم يقطع ذكرها ولم يقدر أحد يسأله عن شيء حتى يسكت، فأقول بيني وبين نفسي ترى بقي أحد في المجلس لم يتقطع قلبه حسرات"(٤٥).

٣٩- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، **حلية الأولياء**، دار الكتاب العربي، ط٥، ١٤٠٧هـ، ج ٨، ص ٢٧٦، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٨، ص ١٧٩.

٤٠- **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص ١١٨.

٤١- أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، وطريق ابن ماجه ذكر فيه الأوزاعي كتاب الأدب، باب الرفق، برقم ٣٨٢٠، و**سنن الدارمي** برقم ٢٨٥٠، و**صحيح ابن حبان** برقم ٣٠٧.

٤٢- ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، طبعة بيروت، ١٩٦٧م، ج ٦، ص ٢٤١.

٤٣- **حلية الأولياء**، ج ٦، ص ١٤٤.

٤٤- عبدالرحمن بن إسماعيل بن أبي شامة، **الباعث على إنكار البدع والحوادث**، مطبعة النهضة، مكة، ط٢، ١٤٠١هـ، ص٢٢.

٤٥- ابن رجب الحنبلي، **التخويف من النار والتعريف بحال دار البوار**، دار البيان، دمشق، ط١، ١٣٩٩هـ، ص ٣٤.

وروى الأوزاعي عن محمد بن المنكدر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "جمال الرجل فصاحة لسانه"(٤٦). ونقل ابن كثير أن الأوزاعي كان يعظ الناس فلا يبقى أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو بقلبه، وما رأيناه يبكي في مجلسه قط وكان إذا خلى بكى حتى يرحم(٤٧).

ومما يشير إلى عنايته بالموعظة ما رواه ابن أبي حاتم عن أبي عمرو عبد الله بن إسماعيل بن بنت الأوزاعي قال: "حدثني أبي قال: وجدت في كتب الأوزاعي بخط يده: ابن آدم اعمل لنفسك وبادر فقد أتيت من كل جانب واعول كعويل الأسير المكبل ولا تجعل بقية عمرك للدنيا وطلبها في أطراف الأرض حسبك ما بلغك منها ستسلم طائعًا وتعز بيوم فقرك وفاقتك واسع في طلب الأمان فإنك في سفر إلى الموت يطرد بك نائمًا ويقظان واذكر سهر أهل النار في خلد أبدًا وتخوف أن ينصرف بك من عند الله عز وجل إلى النار فيكون ذلك آخر العهد بالله عز و جل وينقطع الرجاء واذكر أنك قد راهقت الغاية وإنما بقي الرمق فسدد تصبرًا وتكرمًا وارغب ببقية عمرك أن تفيته للدنيا وخذ منها ما يفرغك لآخرتك ودع منها ما يشغلك عنها"(٤٨).

المبحث الثاني: الحسبة في مرويات الأوزاعي:

الأوزاعي إمام في الحديث، وأثبت إسناد الشاميين: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي عن حسان بن عطية عن الصحابة(٤٩). قال الحافظ عبد الرحمن بن مهدي: "الأئمة في الحديث أربعة: الأوزاعي ومالك وسفيان وحماد بن زيد"(٥٠). قال عيسى بن يونس: "كان الأوزاعي حافظًا"(٥١). وقال البخاري وابن عساكر: "كان الأوزاعي حافظًا"(٥٢). وقال الإمام مالك بن أنس: "الأوزاعي إمام يقتدى به"(٥٣).

٤٦- رواه القضاعي والعسكر والخطيب عن جابر مرفوعًا وإسناده لا يصح، انظر: إسماعيل بن محمد العجلوني، **كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس**، تحقيق: أحمد القلاش، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ، برقم ١٠٧٥.

٤٧- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤.

٤٨- **الجرح والتعديل**، ج ١، ص ٢١٨.

٤٩- الحاكم، **معرفة علوم الحديث**، ص ٦٥.

٥٠- **الجرح والتعديل**، ج ١، ص ٢٠٣.

٥١- الحافظ ابن حجر العسقلاني، **تهذيب التهذيب**، طبعة بيروت، ١٩٦٧م، ج ٦، ص ٢٤٠.

٥٢- أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، **التاريخ الكبير**، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، ج٣، ص١٣٢٨.

٥٣- ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: محب الدين العمري، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٥م، ج ٣٥، ص ١٦٧.

وقال العباس بن الوليد بن مزيد: "قلت لأبي كان الأوزاعي يحفظ القرآن؟ قال: ثكلتك أمك، وأي شيء كان لا يحفظ الأوزاعي"(٥٤).

وقال رحمه الله: "ما زال هذا العلم عزيزًا يتلاقاه الرجال حتى وقع في الصحف فحمله أو دخل فيه غير أهله، وقال: كان هذا الأمر شيئًا شريفًا إذ كان الناس يتلاقونه بينهم فلما كتب ذهب نوره وصار إلى غير أهله"(٥٥). فيظهر اهتمامه بالحفظ والرواية والضبط، مع أنه كان من أوائل من كتب العلم وصنف فيه إلا أنه كان يولي الحفظ عناية خاصة.

وأما مروياته في الكتب الستة فقد قال الدكتور عبدالله الجبوري: "قد أحصيت مروياته في كتب الصحاح فوجدت له في **البخاري** ٤٠ حديثًا وفي **مسلم** ٥١ حديثًا وفي **سنن ابن ماجه** ٧٣ حديثًا وفي **سنن النسائي** ٥٠ حديثًا وفي **سنن أبي داود** ٤٠ حديثًا وفي **سنن الترمذي** ٢٤ حديثًا وله في كتب السنة الأخرى كـ: **مسند أحمد** و**سنن البيهقي** و**الدرامي** وغيرها الكثير من الأحاديث بروايته وبهذا يتأكد لنا أن الأوزاعي كان إمامًا في الحديث كما كان إمامًا في الفقه"(٥٦).

وقد جمع بعض أحاديثه المسندة الشيخ خضر محمود شيخو في رسالة الماجستير وعنوانها: "بذل المساعي في جمع ما رواه الأوزاعي"(٥٧) وجمع فيها سبعمائة وإحدى وثمانين ٧٨١ حديثًا. كما أعد الباحث خالد سنوسي عبدالفتاح موسى رسالة دكتوراه بعنوان: "مرويات الإمام الاوزاعي في الكتب التسعة ومنهجه الفقهي تخريجًا وعرضًا وتحليلًا"، بكلية دار العلوم بجامعة الفيوم سنة ٢٠٠٤م. وكذا للباحث ضياء الدين أحمد علي الأزرق رسالة ماجستير بعنوان: "مرويات الإمام الأوزاعي"، نوقشت في كلية أصول الدين في جامعة أم درمان الإسلامية. قال الذهبي: "ذكر بعض الحفاظ أن حديث الأوزاعي نحو الألف ـ يعني المسند ـ أما المرسل والموقوف، فألوف. وهو في الشاميين نظير معمر لليمانيين، ونظير الثوري للكوفيين، ونظير مالك للمدنيين، ونظير الليث للمصريين، ونظير حماد بن سلمة للبصريين"(٥٨).

٥٤- **الجرح والتعديل**، ج ١، ص ٢٠٤.

٥٥- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٨٨.

٥٦- عبدالله بن محمد الجبوري، **الإمام الأوزاعي حياته وآراؤه وعصره**، دار الرسالة، بغداد، ص ٢٠٠.

٥٧- طبعت في بيروت، دار البشائر. ١٩٩٣م.

٥٨- **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص ١٣٣.

ومن مروياته التي لها علاقة بالحسبة: حديث الترهيب من شرب الخمر عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من شرب الخمر وسكر لم تقبل له صلاة أربعين صباحا وإن مات دخل النار فإن تاب تاب الله عليه..."[٥٩]. وحديث النهي عن الجمع بين الرطب والزهو والزبيب والتمر[٦٠]، وحديث النهي عن النبذ في الجرار[٦١]. وحديث النهي عن النوم على البطن[٦٢]. وحديث النهي عن سب الريح[٦٣]. وحديث النهي عن الغلوطات[٦٤]. وحديث في الإنكار على المرابي[٦٥]. وحديث في الإنكار على من تبعت جنازة[٦٦]. وحديث النهي عن كلّ ذي ناب من السباع والحمار الإنسي والثوم قبل الصلاة[٦٧]. وغيرها من المرويات.

المبحث الثالث: احتسابه بطريق المكاتبة:

كان الأوزاعي يستخدم أسلوب الكتابة في الاحتساب والدعوة، والكتابة هي الكلمة المقروءة، قال أبو زرعة: "وكان فصيحًا، وكانت صنعته الكتابة والترسل، فرسائله تؤثر"[٦٨]. ولا شك في أن هذا الأسلوب يصل أثره إلى البعيد والقريب فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب الكتب ويرسلها للدعوة إلى الدين حيث أرسل إلى هرقل وكسرى والنجاشي والمقوقس.

وعصر الأوزاعي اشتهر فيه أخذ العلم عن طريق الرواية والحفظ، إلا أن الأوزاعي يعد من أوائل من اشتغل بالكتابة، حيث نقل أكثر من واحد ممن ترجم للأوزاعي أول من صنف الكتب ابن جريج

٥٩- **سنن ابن ماجة**، كتاب الأشربة، باب من شرب الخمر لم تقبل له صلاة، برقم ٣٣٧٧، و**سنن النسائي**، كتاب الأشربة، باب توبة شارب الخمر، برقم ٥٦٠٤، وصححه الألباني.

٦٠- رواه مسلم في **صحيحه** من رواية غير الأوزاعي وابن ماجة في **سننه** برواية الأوزاعي، كتاب الأشربة، باب النهي عن الجمع بين الخليطين، برقم ٣٣٩٦ وصححه الألباني.

٦١- **سنن ابن ماجة**، كتاب الأشربة، باب نبيذ الجر، برقم ٣٤٠٧ وصححه الألباني.

٦٢- رواه الطبراني في **المعجم الكبير**، برقم ٨٢٣٠ وصححه الألباني.

٦٣- رواه البيهقي في **شعب الإيمان**، برقم ٥٢٣٣ وصححه الألباني.

٦٤- **سنن أبي داود**، برقم ٣١٧١ وضعفه الألباني والغلوطات شرار المسائل.

٦٥- أبو الحسن أحمد بن سليمان بن حذلم، **جزء من حديث الأوزاعي ومستدركه**، تحقيق: أبو عبدالرحمن مسعد السعدني وشريف بن أبي العلاء العدوي، دار ماجد عسيري، جدة، ط١، ٢٠٠٠م، ص ٣-٤.

٦٦- **جزء من حديث الأوزاعي من رواية ابن حذلم**، ص ٤.

٦٧- **مستدرك جزء الأوزاعي من رواية ابن حذلم**، ص ٢٧.

٦٨- **تهذيب الكمال**، ج ١٧، ص ٣١٣.

وصنف الأوزاعي حين قدم على يحيى ابن أبي كثير كتبه[٦٩]. وهل الأسبقية له أم لابن جريج؟ فالذي يظهر أن الأوزاعي أول من صنف وألف في بلاد الشام وابن جريج له الأولية في مكة والله تعالى أعلم[٧٠]. واحترقت كتبه في الرجفة التي أصابت بيروت سنة ١٣٠هـ، قال الوليد بن مسلم: "احترقت كتب الأوزاعي من الرجفة ثلاثة عشر قنداقًا[٧١] فأتاه رجل فنسخها، فقال: يا أبا عمرو هذه نسخة كتابك وإصلاحك بيدك فما عرض لشيء منها حتى فارق الدنيا"[٧٢].

وكاتب الأوزاعي الخلفاء والأمراء والولاة والوزراء سواء طلبوا منه مكاتبة أم لم يطلبوا، وكان رفيقًا رقيقًا متقنًا متفننًا في كتاباته، ومن ذلك مكاتبته للمنصور حين طلب منه، فقد كتب أبو جعفر المنصور إلى الأوزاعي يقول: أما بعد فقد جعل أمير المؤمنين في عنقك ما جعل الله لرعيته في عنقه ويأمرني أن أطلعه طلعهم وأكتب إليه بما رأيت فيه المصلحة لهم وبما أحببت وبدا لك. فكتب إليه الأوزاعي: أما بعد فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين يعلمني أنه قد جعل في عنقي ما جعل الله لرعيته في عنقه ويأمرني أن أطلعه طلعهم وأكتب إليه بما رأيت فيه المصلحة لهم وبما أحببت وبدا لي، فعليك يا أمير المؤمنين بتقوى الله وتواضع يرفعك الله يوم يضع المتكبرين في الأرض بغير الحق واعلم أن قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لن تزيد حق الله عليك إلا عظمًا ولا طاعته إلا وجوبًا ولا الإياس فيما خالف ذلك منه إلا إنكارًا والسلام[٧٣].

وكثيرا ما كان المنصور يبعث إلى الأوزاعي يستقدمه ويجلس إليه يطلب موعظته في الدين والدنيا، وكان المنصور يبكي أحيانا مما يعظه به الأوزاعي. ومن مكاتباته الاحتسابية ما يلي[٧٤]:

٦٩- أبو حاتم الرازي، **الجرح والتعديل**، ج ١، ص ١٨٤. والخطيب البغدادي، **الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع**، تحقيق: محمود الطحان، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٣هـ، ج٢، ص٢٨١، وسير **أعلام النبلاء**، ج٧، ص ١١١.

٧٠- **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص ١١٥، وذكر الكتاني في **الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المصنفة**، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ١٩٨٦م: أن ابن جريج أول من صنف مطلقًا كما نقله عن شيخ الإسلام زكريا الأنصاري في **شرحه لألفية المصطلح** للعراقي أن أول من صنف مطلقًا ابن جريج بمكة ومالك وابن أبي ذئب بالمدينة، ص ٩.

٧١- جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، **لسان العرب**، "القنداق: صحيفة الحساب، مادة "قندق"، دار صادر، بيروت، ج ١٠، ص ٣٢٤.

٧٢- يعقوب بن إسحاق أبو عوانة الإسفراييني، **مستخرج أبي عوانة**، برقم ٧١٧، ج ٢، ص ٣٢٥.

٧٣- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ٢١٣.

٧٤- انظر هذه الرسائل والمكاتبات: ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ج١، ص ١٨٧، ١٩٩ وما بعدها.

- رسالته للخليفة المنصور في موعظة.
- رسالته إلى أبي عبيد الله وزير الخليفة في موعظة.
- ورسالته له أيضًا في تخلية محبوس ورفع الضرر عنه.
- ورسالته للمهدي في شفاعته لقوم في العفو عنهم.
- ورسالته له أيضًا في شفاعته لأهل مكة في تقويتهم.
- وكذا رسالته إلى أحد الخلفاء في زيادة أرزاق أهل الساحل.
- ورسالته إلى عبد الله بن محمد أمير المؤمنين يعظه ويحثه على ما حل بأهل قاليقلا وطلب الفداء.
- ورسالته إلى سليمان بن مجالد في التعطف بالمكتوب عند الخليفة في التماس الفداء لأهل قاليقلا.
- ورسالته إلى عيسى بن علي.
- ورسالته إلى الوالي أبي بلج.

وكان متقنًا لما يكتب بارعًا فيه، يعجب القارئ وإن كان من أهل فن الكتابة. قال أبو عبيد الله كاتب المنصور: "كانت ترد على المنصور من الأوزاعي رحمه الله كتب يتعجب منها، ويعجز كتابه عن الإجابة، فكانت تنسخ في دفاتر، وتوضع بين يدي المنصور، فيكثر النظر فيها استحسانا لألفاظها، فقال لسليمان بن مجالد: وكان من أحظى كتابه عنده، وأشدهم تقدما في صنعته: ينبغي أن نجيب الأوزاعي عن كتبه جوابًا تامًا، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أحسن ذلك وإنما أرد عليه ما أحسن، وإن له نظما في الكتب لا أظن أحدًا من جميع الناس يقدر على إجابته عنه، وأنا أستعين بألفاظه على من لا يعرفها ممن نكاتبه في الآفاق"(٧٥).

وكاتب مناصحًا عوام الناس والخواص من أصحابه، فقد كتب إلى أخ له قال: "أما بعد، فإنه قد أحيط بك من كل جانب، واعلم أنه يسار بك في كل يوم وليلة فاحذر الله والمقام بين يديه، وأن يكون آخر عهدك به والسلام"(٧٦). وكتب ناصحًا إلى الحكم بن غيلان القيسي: "قد أحببت رحمنا الله وإياك أن يقفك ما عملت من المراء وإن كان على ما تعلم فيه... ودع من الجدال ما يفتن القلب وينبت الضغينة ويجفي القلب ويرق الورع"(٧٧).

٧٥- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٩٠.

٧٦- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ٢٠٧. و**حلية الأولياء**، ج ٦، ص ١٤٠، البيهقي، **الزهد الكبير**، تحقيق: أحمد عامر حيدر، مؤسسة الكتب، بيروت، ط ٣، ١٩٩٦م، برقم ٥٢١.

٧٧- **حلية الأولياء**، ج ٦، ص ١٤٠-١٤١.

المبحث الرابع: إنكاره على من تتبع الرخص:

قال الأوزاعي: "من أخذ بنوادر العلماء خرج من الإسلام"(٧٨). وقال: "من أخذ بنوادر العلماء فبفيه الحجر"(٧٩). وبالرغم بأن من يطالع آراءه يجد أنه له انفرادات في مسائل أعطاها العلماء حكمًا شرعيًا، وانفرد منهم عالم فأعطاها حكمًا خالف فيه سائرهم بناء على دليل صح عنده. ورغم أن العلماء قد حذروا من الفتوى بهذه الانفرادات، إلا أنها تدل على اكتمال شخصية المجتهد واستقلاليته.

وليس المقصود من كلام الأوزاعي اجتهاد العالم من أهل الاجتهاد، ولكن بعض ضعفاء النفوس إذا استهواه أمر وأعجبه شيء وإن كان حرام فإنه يبحث عن رخصة عالم أو زلة مفت لكي يأخذ بها ويجعلها دليله القطعي على جواز فعله. ويظهر هذا مما قاله الأوزاعي: "يُترك من قول أهل مكة المتعة والصرف، ومن قول أهل المدينة السماع وإتيان النساء في أدبارهن، ومن قول أهل الشام الجبر والطاعة، ومن قول أهل الكوفة النبيذ والسحور"(٨٠).

وهذا الأمر حذر منه عامة العلماء قال سليمان التيمي: "إن أخذت برخصة كل عالم اجتمع فيك الشر كله"، قال أبو عمر ابن عبد البر: "هذا إجماع لا أعلم فيه خلافًا"(٨١). وقال بعض العلماء: "من تتبع الرخص فقد تزندق"، وقال الإمام أحمد: "لو أن رجلا عمل بقول أهل الكوفة في النبيذ، وأهل المدينة في السماع (يعني الغناء) وأهل مكة في المتعة كان فاسقًا"(٨٢). وقال الشاطبي: "فإذا صار المكلف في كل مسألة عنت له يتبع رخص المذاهب وكل قول وافق فيها هواه فقد خلع ربقة التقوى وتمادى في متابعة الهوى ونقض ما أبرمه الشارع"(٨٣).

٧٨- البيهقي، **السنن الكبرى**، طبعة دار الفكر، بيروت، ج ١٠، ص ٢١١.

٧٩- البيهقي، **شعب الإيمان**، دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٣١٥.

٨٠- **سنن البيهقي الكبرى**، ج ١٠، ص ٣٥٦.

٨١- يوسف بن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، ج ٢، ص ٩٢، وابن حزم الظاهري، **الإحكام في أصول الأحكام**، مطبعة العاصمة، القاهرة، ج ٦، ص ٣١٧، والذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج٦، ص١٩٨، وأبو نعيم، **حلية الأولياء**، ج ٣، ص ٣٣.

٨٢- أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تحقيق: مشهور حسن محمود سلمان وهشام بن إسماعيل السقا، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤١٠هـ، ص ٢٠٦.

٨٣- أبو إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، **الموافقات في أصول الشريعة**، تخريج: الشيخ عبد الله دراز بعناية إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، ط ١، ١٤١٥هـ، ج ٢، ص ٣٨٦.

المبحث الخامس: إنكاره على من ابتدع في الدين:

حذّر الأوزاعي من البدع وأنكر على من أحدث في الدين. فقد جاء عن الأوزاعي: "ما ابتدع رجل بدعة إلا سلب ورعه"(٨٤). وقال: "كان بعض أهل العلم يقول: لا يقبل الله من ذي بدعة صلاة ولا صيامًا، ولا صدقة ولا جهادًا، ولا حجًا ولا عمرة، ولا صرفًا ولا عدلًا"(٨٥). وكان الأوزاعي يرد على أهل البدع من منكري الصفات أو منكري القدر، واشتهر من أقواله في الصفات: "أمروها كما جاءت بلا كيف". وروى البيهقي في كتاب **الأسماء والصفات** بإسناد صحيح عن الأوزاعي قال: كنا والتابعون متوافرون نقول: إن الله تعالى ذكره فوق عرشه، ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته جل وعلا. ومما يبين أن الأوزاعي قال هذا القول تقريرًا من جهة واحتسابًا من جهة أخرى ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية: "وإنما قال الأوزاعي هذا بعد ظهور مذهب جهم المنكر لكون الله فوق عرشه، والنافي لصفاته، ليعرف الناس أن مذهب السلف خلاف ذلك"(٨٦). وأوصى بالبعد عن مخالطة أهل البدع فقال: "لا تمكنوا صاحب بدعة من جدل، فيورث قلوبكم من فتنته ارتياباً". ونقل عن يحيى بن أبي كثير قال: إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر. وعن محمد بن يوسف قال: سألت الأوزاعي عن القوم يقولون جميعاً فيقول بعضهم لبعض: قولوا خيراً، قال لا يفعل قال: لا يفعلوا، فإن أبوا عليه فليقم عنهم.

ومن مرويات الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة أن رجلا كان يجمع الناس فيقول: رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله، قال: فيقول القوم، فيقول: رحم الله من قال كذا وكذا مرة الحمد لله، قال: فيقول القوم، قال: فمر بهم عبد الله بن مسعود فقال: لقد هديتم لما لم يهتد له نبيكم أو أنكم لتمسكون بذنب ضلالة.

وحدث الأوزاعي عن حسان بن عطية قال: "ما أحدث قوم بدعة في دينهم إلا نزع الله من سنتهم مثلها، ثم لم يعدها إليهم إلى يوم القيامة". وحدث الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو السيباني قال: "حدثني عبد الله بن الديلمي قال: ما ابتدعت بدعة إلا ازدادت مضيًا، ولا تركت سنة إلا ازدادت هربًا".

٨٤- **تاريخ دمشق**، ج ٤٧، ص ١٣.

٨٥- ابن وضاح القرطبي، **البدع والنهي عنها**، تحقيق: بدر بن عبدالله البدر، دار الصميعي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، برقم ٦.

٨٦- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، **الفتوى الحموية الكبرى**، تحقيق: حمد بن عبد المحسن التويجري، دار الصميعي، الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ، ص ٢٩٦.

وكذا حدث الأوزاعي عن عبدة بن أبي لبابة عن ابن عباس قال: "من أحدث رأيا ليس في كتاب الله ولم تمض به سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يدر على ما هو منه إذا لقي الله"(٨٧).

وناظر الأوزاعي أحد القدرية(٨٨) في مجلس هشام بن عبدالملك، فقد ذكر اللالكائي وغيره أنه بلغ هشام بن عبد الملك أن رجلًا قد ظهر يقول بالقدر، وقد أغوى خلقًا كثيرًا، فبعث إليه هشام فأحضره، فقال: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: وما هو؟ قال: تقول: إن الله لم يقدر على خلق الشرّ؟ قال: بذلك أقول، فأحضِر من شئت يحاجني فيه، فإن غلبته بالحجة والبيان علمتُ أني على الحق، وإن غلبني بالحجة فاضرب عنقي. قال: فبعث هشام إلى الأوزاعي فأحضره لمناظرته، فقال له الأوزاعي: إن شئتَ سألتك عن واحدة، وإن شئتَ عن ثلاث، وإن شئتَ عن أربع؟ فقال: سل عما بدا لك، قال الأوزاعي: أخبرني عن الله عز وجل هل تعلم أنه قضى على ما نهى؟ قال: ليس عندي في هذا شيء، فقلت: يا أمير المؤمنين! هذه واحدة. ثم قلت له: أخبرني هل تعلم أن الله حال دون ما أمر؟ قال: هذه أشدّ من الأولى، فقلت: يا أمير المؤمنين! هذه اثنتان. ثم قلت له: هل تعلم أن الله أعان على ما حرّم؟ قال: هذه أشدّ من الأولى والثانية، فقلت: يا أمير المؤمنين! هذه ثلاث قد حلّ بها ضرب عنقه. فأمر به هشام فضربت عنقه. ثم قال للأوزاعي: يا أبا عمرو، فسّر لنا هذه المسائل، قال: نعم يا أمير المؤمنين! سألته: هل يعلم أن الله قضى على ما نهى؟ نهى آدم عن أكل الشجرة ثم قضى عليه بأكلها. وسألته: هل يعلم أن الله حال دون ما أمر؟ أمر إبليس بالسجود لآدم، ثم حال بينه وبين السجود. وسألته: هل يعلم أن الله أعان على ما حرّم؟ حرّم الميتة والدم، ثم أعاننا على أكله في وقت الاضطرار إليه. قال هشام: والرابعة ما هي يا أبا عمرو؟ قال: كنت أقول: مشيئتك مع الله أم دون الله؟ فإن قال: مع الله فقد اتخذ مع الله شريكًا، أو قال: دون الله، فقد انفرد بالربوبية، فأيهما أجابني فقد حلّ ضرب عنقه بها، قال هشام: حياة الخلق وقوام الدين بالعلماء(٨٩).

ومن إنكاره قول القدرية أنه لقيه ذات يوم ثور بن يزيد الكلاعي الحمصي ت ١٥٣هـ، وكان ثور يقول بالقدر، فمدّ ثور يده لمصافحة الأوزاعي، فأبى الأوزاعي أن يمدّ يده وقال: "يا ثور! لو كانت

٨٧- مرويات استخرجتها مما أسنده ابن وضاح في كتاب **البدع**، ص٦٦ وما بعدها.

٨٨- قيل هو: غيلان الدمشقي.

٨٩- أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة**، تحقيق: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض، ١٤٠٢هـ، ج٤، ص٧٩٥. ووقر في صدر هشام شيء من قتل غيلان، فكتب رجاء بن حيوة إلى هشام بن عبد الملك أمير المؤمنين بلغني أنه دخلك من قبل غيلان وصالح فأقسم بالله لقتلها أفضل من قتل ألفين من الترك والديلم، ج٤، ص٧٩٣- ٧٩٤.

الدنيا، كانت المُقاربة، ولكنه الدين"(٩٠). قلت: والأوزاعي من الرواة في حديث جابر عن القدرية "إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله إن مرضوا فلا تعودوهم وإن ماتوا فلا تشهدوهم وإن لقيتموهم فلا تسلموا عليهم"(٩١).

المبحث السادس: دعوته بالحسنى لأهل الكتاب:

كان أهل الذمة متوافرين في عصر الأوزاعي، فكان حريصًا على دعوتهم إلى الإسلام، فتنوعت أساليب دعوته لأهل الكتاب ودفاعه عنهم والعناية بحقهم. ومن اللطف في دعوتهم الإحسان إليهم والشفاعة الحسنة لهم، كما ذكره أحمد بن أبي الحواري قال: بلغني أن نصرانيا أهدى إلى الأوزاعي جرة عسل وقال له: يا أبا عمرو، تكتب إلى والي بعلبك، فقال: إن شئت رددت الجرة وكتبت لك وإلا قبلت الجرة ولم نكتب لك. قال: فرد الجرة وكتب له فوضع عنه ثلاثين دينارًا، قال في **محاسن المساعي**: "إنما رد الهدية على الشفاعة خوفًا من الوقوع في الرياء لما روى أبو داود عن أبي أمامة أنه قال: من شفع لأحد شفاعة فأهدي له هدية فقبلها فقد أتى بابًا عظيما من أبواب الرياء"(٩٢). قلت: يظهر أنه تصحيف، لأن المحفوظ عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من شفع لأخيه بشفاعة فأهدى له هدية عليها فقبلها فقد أتى بابا عظيما من أبواب الربا"(٩٣).

ومن محاسن تعامله مع أهل الكتاب حمايتهم من الظلم إن تعرضوا له، مما كان له أثر كبير وبالغ، فقد حصل من نفر من أهل الذمة من نصارى جبل لبنان أيام العباسيين نكث للعهود وحمل للسلاح وإعلان للفتنة والتمرد، وقضى على فتنتهم الوالي العباسي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وأقر من بقي منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم، ثم شرّد أهل القرى وأجلاهم عن قراهم رغم عدم اشتراكهم جميعاً في هذه الفتنة ولم يرضَ الأوزاعي بما حلّ بهم، ولم يسكت عن هذا الظلم، فما كان منه إلا أن أرسل رسالة إلى الوالي يقول فيها: "... وقد كان من إجلاء أهل الذمة من أهل جبل لبنان، ممن لم يكن ممالئًا لمن خرج على خروجه، ممن قتلتَ بعضهم، ورددتَ باقيهم إلى قراهم ما قد علمتَ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب

٩٠- **تاريخ دمشق**، ج ١١، ص ١٩١، و**تهذيب الكمال**، ج ٤٤، ص ٤٢٥.

٩١- رواه ابن ماجه في **سننه**، باب في القدر، برقم ٨٩، وحسنه الألباني في **صحيح سنن ابن ماجة** برقم ٧٥.

٩٢- **محاسن المساعي**، ص ١٠٤، ولعل التصحيف من المحقق والعلم عند الله تعالى.

٩٣- رواه أبو داود في **سننه**، كتاب الإجارة، باب في الهدية لقضاء الحاجة، برقم ٣٠٧٧، وحسنه الألباني في **صحيح سنن أبي داود** برقم ٣٠٢٥.

خاصة حتى يُخرَجوا من ديارهم وأموالهم؟ وحكم الله تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾(٩٤)، وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به... وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال: "من ظلم معاهدًا أو كلَّفه فوقَ طاقته فأنا حجيجه". وأصرّ على الوالي أن يبادر برفع هذا الظلم، حتى استجاب الوالي وفعل ما طلبه الأوزاعي إمام أهل الشام.

وكتب الأوزاعي إلى الوالي أبي بلج يحثه على معاملة الرعية وأهل الذمة معاملة حسنة، فجاء في رسالته: "أما بعد صرف الله عنا وعنك الميل عن الحق بعد المعرفة ... وقد رأيت كتبا ظهرت فيما عندكم ومقالة سوء بعقوبة فرط وصحبة غليظة للمسلمين وقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بخفض الجناح لهم وبالرأفة بهم والمعدلة بينهم يعفى عن مسيئهم فيما يجمل العفو فيه ويعاقب المذنب على قدر ذنبه لا يقتحم بالعقوبة وجهه فإنه بلغنا أن صكة الوجه يوم القيامة لا تغفر فكيف من الموت أجمل من عقوبته لا يثنى إلى حدود الله عطفه ولا يقف في سيرته على أمره يريه جهله أنه في الأمور مخير وأن غيه رشد فهو لحرم الله عند غضبه ملغى وبالعداة في دين الله وعلى عباده يسفه فإنكم جعلتم أمانتكم من أهل ذمتكم مأكلا وبين أهوائكم حتى هلكت الأموال وعلقت الرجال مع المثلة في اللحى وتقطيع الأبشار ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيما بلغنا: من ظلم معاهدًا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه(٩٥) فأعظم بندامة من رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قليل حجيجه"(٩٦).

ولقد كان لأسلوب الأوزاعي بالغ الأثر في أهل الذمة وغيرهم، ويدل على ذلك يوم وفاته والذي كان يومًا مشهودًا حضره أعداد لا تكاد تحصى من المسلمين وغيرهم، فقد روى ابن العباس بن الوليد بن مزيد عن سالم بن المنذر قال: سمعت الصيحة بوفاة الأوزاعي، فخرجت، فأول من رأيت نصراني قد ذر على رأسه الرماد فلم يزل المسلمون من أهل بيروت يعرفون ذلك له. وخرجت في جنازته أربع أمم ليس منها واحدة مع صاحبتها. وخرجنا يحمله المسلمون وخرجت اليهود في ناحية والنصارى في ناحية والقبط في ناحية(٩٧). ومن عجيب ما روي في ذلك إن صحت الرواية أنه أسلم في ذلك اليوم من أهل الذمة اليهود والنصارى نحو ثلاثين ألفًا، لما رأوا من كثرة الخلق على جنازته(٩٨). والحق أن هذا

٩٤- سورة النجم، الآية: ٣٨.

٩٥- في حديث رواه البيهقي في **السنن الكبرى**، برقم ١٨٥١١ وصححه الألباني في **غاية المرام**، ص ٢٧٢.

٩٦- ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، ج ١، ص ٢٠٠-٢٠١.

٩٧- المرجع السابق، ج ١، ص ٢٠٢.

٩٨- نقله صاحب **محاسن المساعي**، ص ١٦٢ عن عبد الحق الإشبيلي.

التأثر أمر بدهي، لأن الأوزاعي كان يدعوهم مستخدما معهم أسلوب الإحسان، وهو من الأساليب العاطفية التي يكون تأثيرها سريعًا في القلوب.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان(٩٩).

المبحث السابع: احتسابه على الولاة:

تنوعت أساليب الأوزاعي في الاحتساب على الولاة، فتارة بالإنكار المباشر، وأخرى بالوعظ، وتارة بالمكاتبة والمراسلة، فكان رحمه الله قوالًا للحق قائمًا به، فلم يكن معارضًا للولاة ولا خارجًا عليهم وكذا لم يكن متزلفًا ولا مخادعًا لهم.

ولم يكن يتردد عليهم ولا يقدم عليهم إلا بطلب منهم على ما كان بينه وبين أبي جعفر المنصور من المودة(١٠٠)، فلم يدخل على هشام ابن عبد الملك إلا عند طلبه لمناظرة القدري، ولم يدخل على أبي جعفر المنصور إلا عندما طلبه فنصحه ووعظه وبقي على المراسلة معه بما ينفع المسلمين. والبديع أن الأوزاعي لم يستغل احترام الخلفاء له وتقديرهم له من أجل مصالحه الذاتية بل كان يطلب ويكتب من أجل حوائج عامة المسلمين بل حتى لقضاء حوائج بعض النصارى من أهل الذمة. وله مكاتبات مع الخلفاء والأمراء تدل على ما ذكرت.

وله مع المنصور موقف عظيم تكلم فيه بكلام طويل، رضيه منه المنصور، لأنه مهيأ له حسًا ومعنى، فلم يضجر المنصور تلك النصائح لأنها خرجت من عالم إمام، بل المنصور هو الذي طلب منه الكلام، فتكلم الأوزاعي بكلام جمع فيه أمورًا من الخير وأنواعًا من النصح الصادق لا يصدر إلا من العلماء الأتقياء نحسبه كذلك، حتى أن المنصور أخذ منديلًا فوضعه على وجهه وبكى وانتحب.

قال الأوزاعي: بعث إلي أبو جعفر المنصور أمير المؤمنين وأنا بالساحل فأتيته، فلما وصلت إليه وسلمت عليه بالخلافة رد علي واستجلسني ثم قال لي: ما الذي أبطأ بك عنا يا أوزاعي؟ قال: قلت وما الذي تريد يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الأخذ عنكم والاقتباس منكم قال: فقلت فانظر يا أمير المؤمنين أن لا تجهل شيئًا مما أقول لك، قال: وكيف أجهله وأنا أسألك عنه وفيه وجهت إليك وأقدمتك له؟ قال: قلت أخاف أن تسمعه ثم لا تعمل به، قال: فصاح بي الربيع وأهوى بيده إلى السيف فانتهره المنصور وقال:

٩٩- أبو الفتح علي بن محمد البستي، **من قصيدة عنوان الحكم**، تحقيق: عبد الفتاح أبوغدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط١، ١٤٠٤هـ، ص ٣٥.

١٠٠- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٧.

هذا مجلس مثوبة لا مجلس عقوبة فطابت نفسي وانبسطت في الكلام. فقلت: يا أمير المؤمنين! حدثني مكحول عن عطية بن بشر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أيما عبد جاءته موعظة من الله في دينه وإنها نعمة من الله سيقت إليه فإن قبلها بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد بها إثمًا يزداد الله بها سخطًا عليه"، يا أمير المؤمنين حدثني مكحول عن عطية بن ياسر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أيما وال مات غاشا لرعيته حرم الله عليه الجنة"(١٠١) يا أمير المؤمنين! من كره الحق فقد كره الله. إن الله هو الحق المبين... يا أمير المؤمنين! قد كنت في شغل من خاصة نفسك عن عامة الناس الذين أصبحت تملكهم، أحمرهم وأسودهم، ومسلمهم وكافرهم فكل له عليك نصيبه من العدل، فكيف إذا اتبعك منهم فئام وراء فئام، ليس منهم أحدًا إلا وهو يشكو بلية أدخلتها عليه، أو ظلامة سقتها إليه... يا أمير المؤمنين! إنك قد بليت بأمر عظيم لو عرض على السماوات والأرض والجبال لأبين أن يحملنه وأشفقن منه... يا أمير المؤمنين! إن أشد الشدة القيام لله بحق، وأن أكرم الكرم عند الله التقوى، إنه من طلب العز بطاعته لله رفعه الله ومن طلبه بمعصية الله أذله الله ووضعه.

هذه نصيحتي والسلام عليك، ثم نهضت فقال لي: إلى أين؟ فقلت: إلى البلد والوطن بإذن أمير المؤمنين إن شاء الله. فقال: قد أذنت وشكرت لك نصيحتي وقبلتها بقبول، والله الموفق للخير والمعين عليه وبه أستعين وعليه أتوكل وهو حسبي ونعم الوكيل، فلا تخلني من مطالعتك إياي بمثلها، فإنك المقبول غير المتهم في النصيحة. قال محمد بن مصعب: فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال: إني في غنى عنه وما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا كلها، وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده(١٠٢).

قال ابن كثير: وقد اجتمع الأوزاعي بالمنصور حين دخل الشام ووعظه وأحبه المنصور وعظمه، ولما أراد الانصراف من بين يديه استأذنه أن لا يلبس السواد فأذن له، فلما خرج قال المنصور للربيع الحاجب: الحقه فاسأله لم كره لبس السواد؟ ولا تعلمه أني قلت لك. فسأله الربيع فقال: لأني لم أر مُحرمًا أحرم فيه، ولا ميتًا كفن فيه، ولا عروسًا جليت فيه، فلهذا أكرهه(١٠٣).

١٠١- رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأحكام، باب من استرعى رعية فلم ينصح، برقم ٦٧٣٢، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب استحقاق الوالي الغاش لرعيته النار. ورواه غيرهما.

١٠٢- **حلية الأولياء**، ج ٦، ص ١٣٦-١٤٣.

١٠٣- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٧.

وله موقف مع الأمير عبد الله بن علي عم الخليفة السفاح لما قدم الشام وقتل بني أمية طلب الأوزاعي فتغيب عنه ثلاثة أيام[١٠٤] ويصف الأوزاعي ذلك الدخول بأن الأمير جلس على سريره وعبأ أصحابه أربعة أصناف: صنف معهم السيوف المسللة، وصنف معهم الجزرة أظنها الأطبار[١٠٥]، وصنف معهم الأعمدة وصنف معهم الكافر كوب[١٠٦]، ثم بعث إلي فلما صرت بالباب أنزلوني وأخذ اثنان بعضدي وأدخلوني بين الصفوف حتى أقاموني مقامًا يسمع كلام فسلمت فقال: أنت عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي؟ قلت: نعم أصلح الله الأمير، قال: ما تقول في دماء بني أمية؟ فسأل مسألة رجلٍ يريد أن يقتل رجلًا. فقلت: قد كان بينك وبينهم عهود. فقال: ويحك اجعلني وإياهم لا عهد بيننا. فأجهشت نفسي وكرهت القتل فذكرت مقامي بين يدي الله عز وجل فلفظتها، فقلت: دماؤهم عليك حرام. فغضب وانتفخت عيناه وأوداجه فقال لي: ويحك ولم؟ قلت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: ثيب زان ونفس بنفس وتارك لدينه"[١٠٧] قال: ويحك أوليس الأمر لنا ديانة؟ قلت: وكيف ذاك؟ قال: أليس كان رسول الله كان أوصى إلى علي؟ قلت: لو أوصى إليه ما حكم الحكمين. فسكت وقد اجتمع غضبا فجعلت أتوقع رأسي تقع بين يدي فقال بيده هكذا أومأ أن أخرجوه فخرجت فركبت دابتي، فلما سرت غير بعيد، إذا فارس يتلوني، فنزلت إلى الأرض، فقلت: قد بعث ليأخذ رأسي، أصلي ركعتين، فكبرت، فجاء ـ وأنا قائم أصلي ـ فسلم، وقال: إن الأمير قد بعث إليك بهذه الدنانير فخذها. فأخذتها، ففرقتها قبل أن أدخل منزلي[١٠٨].

إن هذا الموقف من الأوزاعي تظهر فيه الجرأة في الحق مع حضور الفهم ورباطة الجأش والاستناد إلى الدليل، والصدق والنصح للراعي وعدم غشه، والأدب معه وعدم الغلظة عليه، إضافة إلى النزاهة وحبه الخير للغير التي تتجلى في توزيعه للمال الذي بعث به الأمير بعد ذلك الموقف.

١٠٤- المرجع السابق، ج ١٠، ص ١٢٥.

١٠٥- الأطبار: نوع من السلاح له فأس. (محقق **سير أعلام النبلاء**).

١٠٦- المقرعة. (محقق **السير**).

١٠٧- في حديث شهير رواه البخاري في **صحيحه**، كتاب الديات، باب قوله تعالى: والأذن بالأذن، برقم ٦٨٧٨، ورواه مسلم في **صحيحه**، كتاب القسامة والمحاربين، باب ما يباح به دم المسلم، ورواه غيرهما.

١٠٨- **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص ١١٣.

الفصل الثاني: أسباب قوة الحسبة عند الأوزاعي:

إن قول الحق والعمل به والأمر به لا بد له من قوة في الدين وثبات عليه، والمتتبع لحال الأوزاعي يدرك يقينًا أن قيامه بواجب الحسبة أعانه عليه عدة أمور فقد كان مهيبًا مطاعًا واعظًا اجتمع فيه العلم والعمل به كما اجتمع فيه الفقه والتدقيق والحفظ والتحقيق جامعًا في ذلك كله قربًا من الناس ومخالطة لهم على منهاج النبوة، يداري رفقًا بهم ولا يداهن في دينه أحدًا وفي هذا المقام سرد لبعض أسباب قوة الحسبة عند الأوزاعي منها ما يتعلق بشخصه ومنها ما يتعلق بظروف زمانه:

المبحث الأول: حمله همّ الإنكار وخبرته في الحياة:

كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب الهداية للخلق ويسعى لها ويحزن إن خالفوا أمر الله بل كادت نفسه أن تخرج بسبب إعراض بعضهم كما قال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾(١٠٩). وفي أقوال الأوزاعي وأفعاله ومروياته ما يبين بوضوح حرصه على إنكار المنكرات وبيان ضررها، ففي مروياته أنه قال: قال: سمعت بلال بن سعد يقول: "إن المعصية إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت فلم تغير ضرت العامة"(١١٠).

فالمعاصي إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها، وإذا أعلنت أضرت بالعامة، ولذا يحتسب على المنكر الظاهر العلني ولا ينكر على المختفي. وقد جاء في الأحاديث أن العذاب لا ينزل إلا على قوم ظهرت فيهم المعاصي ولم يحتسب عليها. إذا كان صاحب المعصية يستتر بمعصيته، في بيته وفي مكان لا يراه أحد، فهذا غاية الإذلال له، وغاية العز للمسلمين، في منع المنكرات من الظهور، ولذلك لا يؤمر أهل الحسبة أن يتجسسوا على البيوت أو يقفزوا على البيوت. وكان الأوزاعي يحذّر من الوقوع في المحذور ويوجه بتعلمه من أجل الحيطة، قال موجهاً بقية بن الوليد أحد أصحابه: "تعلم ما لا يؤخذ به كما تعلم ما يؤخذ به"(١١١).

١٠٩- سورة الكهف، الآية: ٦.

١١٠- رواه البيهقي في **شعب الإيمان**، ج ٦، ص ٩٩، وأبو نعيم في **الحلية**، ج ٥، ص ٢٢٢، وابن عبد البر في **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، ج ٢٤، ص ٣٠٩ بسند صحيح. وروي مرفوعًا ولكن إسناده لا يصح، بل موضوع، انظر: الألباني، **ضعيف الجامع**، برقم ٤٨٠.

١١١- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٨٦.

ومن جانب آخر فقد كان الأوزاعي خبيرًا بأمور الحياة عارفًا بأحوال الناس عالماً بأمور السلاطين، حيث عاش ٦٩ عامًا عاصر دولتين الأموية والعباسية، أدرك زاول الأولى وخبر نشأة الثانية، فأدرك الأولى في قوتها واستقرارها وضعفها، وأدرك الثانية ونشأتها وما صاحب ذلك من أحداث وقوة ممارسة لدى الخلفاء العباسيين الأوائل لتثبيت دولتهم. ومع ذلك لم يكن مداهنًا في دين الله ولم ينافق أحدًا في قول كلمة الحق، فلم يبرز العداء لبني أمية كما راج آنذاك إرضاء للعباسيين، ويدل على ذلك عدة مواقف من أوضحها موقفه مع الأمير عبد الله بن علي عم الخليفة السفاح لما قدم الشام وقتل بني أمية حيث طلب اللقاء بالأوزاعي فكان للأوزاعي موقف بيّن في قول الحق على صعوبة الحال(١١٢). ولم يترك المشاركة في عهد العباسيين فقد ظل مرابطًا في ثغر بيروت قوالًا للحق داعيًا إليه آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر، ولأجل ذلك كان الخلفاء يعظمونه ويهابونه ويحفظون له حقه. ولا شك أن مما زاد في خبرة الأوزاعي في معرفة أحوال الناس احتكاكه بأصناف مختلفة إذ عاش في مكان فيه من الأخلاط من المسلمين وأهل الذمة وغيرهم، ومما زاد في اطلاعه وعلمه رحلاته العلمية حيث تنقل بين البلدان من بيروت إلى دمشق ثم اليمامة ثم البصرة ثم مكة والمدينة رجوعًا إلى بيت المقدس. كما أنه عالم بأحوال الاحتساب وفقهه يحمل أدوات الحسبة عالماً بالمصالح والمفاسد، إذ مارس الفتيا منذ وقت مبكر وهو ابن خمس وعشرين سنة في سنة ١١٣هـ ولم يزل كذلك إلى أن مات سنة ١٥٧هـ حيث أكسبته ٤٤ سنة في مجال إفتاء الناس خبرة في سبر أحوال الناس ظهرت في الحكمة والتثبت والوقار والحلم بعيدًا عن الحدة والطيش والخفة والعجلة مع استمراره في قول الحق في كل موقف. فهو كما قيل عنه: إمام أهل زمانه، وقد وصفه من عاصره بالتوفيق والسداد بقوله: ما رأيت أحدا أسدّ أمرًا منه(١١٣).

المبحث الثاني: جمعه بين العلم والتعبد:

مما زاد في قوة حسبته غزارة علمه فهو عالم بما يأمر به عالم بما ينهى عنه يمضي في ذلك على بصيرة، نقل ابن عساكر وابن كثير أن مالكًا والأوزاعي اجتمعا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وتذاكرا من الظهر حتى صليا العصر، ومن العصر حتى صليا المغرب، فغمره الأوزاعي في المغازي، وغمره مالك في الفقه أو في شيء من الفقه... وقال هقل بن زياد: أفتى الأوزاعي في سبعين ألف مسألة

١١٢- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٥، **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص ١١٣.

١١٣- يعقوب بن سفيان البسوي، **المعرفة والتاريخ**، تحقيق: أكرم ضياء العمري، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤١٠هـ، ج ٢، ص ٤٠٩.

بـ: حدثنا وأخبرنا. وقال أبو زرعة: روي عنه ستون ألف مسألة[١١٤]. وكان رحمه الله مدققًا في العلم فقد قال: "كنا نسمع الحديث فنعرضه على أصحابنا كما يعرض الدرهم الزيف فما عرفوا منه أخذنا وما أنكروا منه تركنا"[١١٥]. وقال إسماعيل بن عياش: "سمعتهم يقولون سنة أربعين ومائة: الأوزاعي اليوم عالم الأمة"[١١٦].

وقال عبدالرحمن بن القاسم: جئت يوما إلى منزل مالك بن أنس فوجدت سفيان الثوري وعبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي خارجين من عنده فدخلت إلى مالك فقلت له: أبا عبد الله لقيت الساعة الأوزاعي والثوري خارجين من عندك فقال لي: أما أحدهما فمن الراسخين في العلم، يريد عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي[١١٧].

وقال إسحاق بن عباد الختلي: حدثني أبي قال: حججت في بعض السنين فرأيت شيوخًا أحدهم راكب والآخر يسوق به وآخر يقود به يقولون: أوسعوا للشيخ وأوسعوا للشيخ فقلت: من الراكب؟ ومن القائد؟ ومن السائق؟ فقالوا: الراكب الأوزاعي والقائد مالك والسائق الثوري قال: لولا أنهم رأوا أنه أفضلهم ما فعلوا به ذلك[١١٨].

وكذا كان الأوزاعي رحمه الله متنسكًا متعبدًا حيث جمع رحمه الله في عبادته لربه بين شتى أنواعها من اجتهاد في إخلاص العمل وطول القيام له تعالى وبذل المال بسخاء وكذا بذل وقته وجهده وحسن تعامله مع الخلق. قال ابن كثير: "وكان الأوزاعي رحمه الله كثير العبادة حسن الصلاة ورعًا ناسكًا طويل الصمت"[١١٩].

قال يحيى بن معين: العلماء أربعة: الثوري وأبو حنيفة ومالك والأوزاعي، وقال عبد الرحمن بن مهدي: العلماء عندنا أربعة سفيان الثوري بالكوفة ومالك بن أنس بالمدينة والأوزاعي بالشام وحماد بن زيد بالبصرة[١٢٠].

١١٤- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤ و**تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٦٢.

١١٥- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٨٦.

١١٦- أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، **تذكرة الحفاظ**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج ١، ص ١٧٩.

١١٧- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٦٨.

١١٨- المرجع السابق، ج ٣٥، ص ١٦٥.

١١٩- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤.

١٢٠- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٧٥، ١٧٩.

قال الوليد بن مسلم: كان الأوزاعي إذا صلى الصبح جلس يذكر الله سبحانه حتى تطلع الشمس، وكان يؤثر عن السلف ذلك، قال: ثم يقومون فيتذاكرون في الفقه والحديث(١٢١). وقال ابن عساكر: كان الأوزاعي يقول: من أطال القيام في صلاة الليل هون الله عليه طول القيام يوم القيامة. أخذ ذلك من قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ۝٢٦ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾(١٢٢)(١٢٣).

وقال الوليد بن مسلم: ما رأيت أحدا أشد اجتهادا من الأوزاعي في العبادة. وقال غيره: حج فما نام على الراحلة، إنما هو في صلاة، فإذا نعس استند إلى القتب، وكان من شدة الخشوع كأنه أعمى. وكان الأوزاعي من العبادة على شيء لم يسمع بأحد قوي عليه ما أتى عليه زوال قط إلا وهو فيه قائم يصلي. وقال ضمرة بن ربيعة: حججنا مع الأوزاعي سنة خمسين ومائة فما رأيته مضطجعًا على المحمل في ليل ولا نهار قط كان يصلي فإذا غلبه النوم استند إلى القتب. وكان الأوزاعي لا يكلم أحدًا بعد صلاة الفجر حتى يذكر الله تعالى فإن كلمه أحد أجابه. وقال بشر بن المنذر: رأيت الأوزاعي كأنه أعمى من الخشوع(١٢٤).

المبحث الثالث: حرصه على سنة النبي صلى الله عليه وسلم:

والتزامه سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم يجعل له منزلة عند الناس، ويظهر أثر احتسابه عليهم. وحكي أن رجلًا حضر عند السلطان محمود بن سبكتكين يطلب الحسبة بمدينة غزنة، فنظر السلطان فرأى شاربه قد غطى فاه من طوله، وأذياله تسحب على الأرض، فقال له: يا شيخ اذهب فاحتسب على نفسك، ثم عُد واطلب الحسبة على الناس(١٢٥). وإنه لمن المؤسف أن ترى بعض من يقوم بالحسبة يهملون هذه الجوانب، وهي من الأهمية بمكان، فترى بعضهم لا يهتمون بنظافة أبدانهم وملابسهم ولا حتى أفواههم فينفّرون غيرهم من حيث لا يشعرون، لأنهم يغدون إلى الناس بهيئة مزرية رديئة.

وكان الأوزاعي حريصًا على السنة ويوصي بالسنة وأهلها وبالصحابة وتوقيرهم وإجلالهم فقد روى عنه الذهبي وغيره قوله: "عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن

١٢١- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٥.

١٢٢- سورة الإنسان، الآيتان: ٢٦-٢٧.

١٢٣- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٩٥.

١٢٤- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٥.

١٢٥- عبد الرحمن بن نصر الشيزري، **نهاية الرتبة في طلب الحسبة**، تحقيق الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ص ٨-٩.

زخرفوه لك بالقول، فإن الأمر ينجلي وأنت على طريق مستقيم"(١٢٦). واشتهر قوله: "ندور مع السنة حيث دارت"(١٢٧).

وكان يثني على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعن بقية بن الوليد قال: قال لي الأوزاعي: "يا بقية! العلم ما جاء عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وما لم يجئ عن أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فليس بعلم، يا بقية! لا تذكر أحدًا من أصحاب محمد نبيك صلى الله عليه وسلم إلا بخير، ولا أحدًا من أمتك، وإذا سمعت أحدًا يقع في غيره فاعلم أنه إنما يقول: أنا خير منه"(١٢٨).

وكان يوصي بالسنة وأهلها ويقول: "اصبر على السنة وقف حيث وقف القوم وقل فيما قالوا وكف عما كفوا واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما يسعهم"(١٢٩). وقال عامر بن يساف: سمعت الأوزاعي يقول: "إذا بلغك عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حديث فإياك أن تقول بغيره فإنه كان مبلغا عن الله"(١٣٠).

وكان يغضب حين تخالف سنة النبي صلى الله عليه وسلم ولو صدر ذلك من الأكابر، فقد قال بشر بن بكر: "كان وال بالشام قد أراد الأوزاعي على شيء فلم يجده عنه. قال: فهم أن يؤدبه فقال له بعض من يعتاده: لا تفعل فإنه لا مقام لك بالشام مع الأوزاعي فإن يكن من أمير المؤمنين شيء كان من غيرك. قال: فكف عنه. قال: فبينما هم كذلك إذ جاءه كتاب أن يخرج إلى فلان الشاري فيقابله. قال: فقال له أولئك: الآن جاءك ما تحب منه لو ضربت رقبته لم يجبك فيه بشيء. قال: فأرسل إليه فاجتمع واجتمع من كان يؤلبه على الأوزاعي وغيرهم. قال: فقال له الوالي: يا أبا عمرو! هذا كتاب أمير المؤمنين يأمر فيه بالخروج إلى هذا الظالم الشاري. قال: فقال الأوزاعي: حدثني يحيى بن أبي كثير اليمامي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إنما الأعمال بالنية ولكل امرئ ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه". قال: فقال له الوالي: أخبرك عن كتاب أمير المؤمنين وتعارضني بغيره؟! قال: فقال له الأوزاعي: اسكت

١٢٦- **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص١٢٠. و شمس الدين الذهبي، **مختصر العلو للعلي الغفار**، تحقيق: الألباني، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٠١هـ، ص ١٣٨.

١٢٧- اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، ج ١، ص ٦٣.

١٢٨- **جامع بيان العلم وفضله**، ج ٢، ص ٤٥٠.

١٢٩- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ٢٠٠.

١٣٠- **تذكرة الحفاظ**، ج ١، ص ١٨٠.

أخبرك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعارضني بغيره؟! قال: فأشار إليه بعض من كان يؤلبه عليه بيده أن يسكت. قال: فقال له: انصرف يا أبا عمرو. قال: فلما قام قال لهم الوالي: هذا رجل معصوم. قال: وقال الوالي لمن كان يؤلبه: إشارتكم إلي أن أسكت لم كان؟ قالوا: لو أشار إلى أهل الشام لضربت رقبتك"(١٣١).

وكان يحذّر من التهاون بالبدعة فقال: "إذا ظهرت البدع، فلم ينكرها أهل العلم صارت سنة"(١٣٢). وعن بقية بن الوليد قال: قال لي الأوزاعي: "يا أبا محمد ما تقول في قوم يبغضون حديث نبيهم؟ قلت: قوم سوء قال: ليس من صاحب بدعة تحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلاف بدعته بحديث إلا أبغض الحديث"(١٣٣). روى القاسم بن سلام قال: أخبرني عبدالرحمن بن مهدي قال: ما كان بالشام أحد أعلم بالسنة من الأوزاعي(١٣٤).

المبحث الرابع: قطعه الطمع فيما أيدي الناس وتحريه الإخلاص:

كان إذا وصله مال من السلطان لا يتصرف فيه لنفسه بل يبادر بتفريقه قبل أن يدخل داره. ويدل على قطعه الطمع أنه لم يخلف سوى ستة دنانير فضلت من عطائه. وكان الأوزاعي من أكرم الناس وأسخاهم، كان له في بيت المال إقطاع صار إليه من بني أمية، وقد وصل إليه من خلفاء بني أمية وأقاربهم وبني العباس نحو من سبعين ألف دينار فلم يمسك منهم شيئًا، ولا اقتنى شيئًا من عقار ولا غيره، ولا ترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه، بل كان ينفق ذلك كله في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين(١٣٥). قلت: يصل الأوزاعي من السلطان من غير طلبه فكان يقبله أحيانا ويرده أحيانًا، وإن قبله قسمه. أما ما كان يعطيه إياه السلطان في مقابل نصح أو وعظ فلم يكن يقبله بل يرده سواء كان من السلطان أو غيره كما مرّ في موقفه من النصراني الذي رد إليه الأوزاعي الجرة حين كتب للوالي من أجله. وكما حصل مع المنصور حين وعظه فأمر له بمال يستعين به على خروجه فلم يقبله وقال إني في غنى عنه و ما كنت لأبيع نصيحتي بعرض الدنيا كلها وعرف المنصور مذهبه فلم يجد عليه في رده(١٣٦). قال محمد بن

١٣١- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ٢٠٧.

١٣٢- أحمد بن علي الخطيب البغدادي، **شرف أصحاب الحديث**، تحقيق: عمرو عبدالمنعم سليم، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، ص٤١.

١٣٣- اللالكائي، **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، ج ٢، ص ٢٠٥ و**شرف أصحاب الحديث**، ص ١٣٦.

١٣٤- **شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة**، ج ١، ص ٦٢.

١٣٥- **محاسن المساعي**، ص ٧٦-٧٩.

١٣٦- **حلية الأولياء**، ج ٦، ص ١٤٣.

عيسى الطباع: "أهدوا للأوزاعي هدية أصحاب الحديث. فلما اجتمعوا قال لهم: أنتم بالخيار: إن شئتم قبلت هديتكم ولم أحدثكم، وإن شئتم حدثتكم ورددت هديتكم"(١٣٧).

كما ظهر من سيرته أنه كان رحمه الله يتحرى الإخلاص ويتطلبه في أقواله وأعماله فالإخلاص مطلب عزيز. فمع تعبد الأوزاعي وتنسكه إلا أنه كان يخفي ذلك، فقد دخلت امرأة على امرأة الأوزاعي فرأت الحصير الذي يصلي عليه مبلولا فقالت لها: لعل الصبي بال ههنا. فقالت: هذا أثر دموع الشيخ من بكائه في سجوده، هكذا يصبح كل يوم(١٣٨). وقال أبو مسهر: "ما رئي الأوزاعي باكيًا قط، ولا ضاحكًا حتى تبدو نواجذه، وكان يحيي الليل بكاء وصلاة. وأخبرني بعض إخوتي من أهل بيروت أن أم الأوزاعي كانت تدخل منزل الأوزاعي وتتفقد موضع مصلاه فتجده رطبا من دموعه"(١٣٩). وقال بعض أصحابه: "وما رأيناه يبكي في مجلسه قط وكان إذا خلى بكى حتى يرحم"(١٤٠).

المبحث الخامس: امتثاله لما يقول:

سئل ابن أبي حاتم عن الأوزاعي فقال: "الأوزاعي ثقة متبع لما سمع"(١٤١). وقال الواقدي: قال الأوزاعي: كنا قبل اليوم نضحك ونلعب، أما وقد صرنا يقتدى بنا فلا نرى أن يسعنا ذلك وينبغي أن نتحفظ. وقال الأوزاعي: كنا نمزح ونضحك فلما صرنا يقتدى بنا، خشيت ألا يسعنا التبسم. وقال ابن عجلان: ما رئي الأوزاعي ضاحكًا مقهقهًا قط. وعن الأوزاعي قال: "ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً"(١٤٢). وقال: "لا يستقيم الإيمان إلا بالقول، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بالعمل، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة"(١٤٣). وقال الوليد بن مزيد: "سمعت الأوزاعي يقول: إن المؤمن يقول قليلًا، ويعمل كثيرًا، وإن المنافق يتكلم كثيرًا، ويعمل قليلًا"(١٤٤).

١٣٧- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٩٨.

١٣٨- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤.

١٣٩- الذهبي، **تاريخ الإسلام**، ج ٣، ص ١٤٠.

١٤٠- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤.

١٤١- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٨٢.

١٤٢- **محاسن المساعي**، ص ١٠١.

١٤٣- ابن بطه العكبري، **الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة**، تحقيق: رضا نعسان معطي، دار الراية، الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ، ج ٢، ص ٨٠٧.

١٤٤- **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص ٣٩٤.

ومما زاد في قوة حسبته رحمه الله قلة كلامه وكثرة أفعاله قال أبو مسهر وقال لي الهقل بن زياد وابن شعيب وغيرهما: "كان من ينظر في رسائل الأوزاعي وجواباته يقول: هذا صاحب كلام وما رأينا أكثر سكوتاً منه إلا عند الحاجة"(١٤٥).

ومن امتثاله للحق سرعة رجوعه إليه، قال العباس بن الوليد بن مزيد: "سمعت أبي وعقبة بن علقمة يذكران قالا: ما رأينا أحدا أسرع رجوعًا إلى الحق إذا سمعه من الأوزاعي"(١٤٦). وعن الوليد بن مسلم قال: قال لي سعيد بن عبد العزيز هل رأيت أبا عمرو الأوزاعي؟ قلت: نعم قال: فاقتد به فلنعم المقتدى به، وفي رواية: فاقتد به فقد كفاك من كان قبله(١٤٧).

المبحث السادس: حفظه هيبته:

الحسبة والمهابة مرتبطتان، فالمهابة تجلب للحسبة القبول وترك الحسبة يذهب المهابة ويسقطها، يقول أبو عبد الرحمن العمري: "... من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من مخافة المخلوقين نزعت منه هيبة الطاعة، فلو أمر ولده، أو بعض مواليه لاستخف به"(١٤٨). وقال إبراهيم بن أدهم: "... وكل من ذلَّ لغير الله فهو والكلب سواء"(١٤٩). وقد أدرك الأوزاعي أهمية المهابة والسمت فظهر حرصه من خلال أقواله وأفعاله فقال: "لو قبلنا من الناس كل ما يعطوننا لهنّا عليهم"(١٥٠).

وكان متورعًا حريصًا على صيانة نفسه وكرامتها، قال ابن كثير: "وقد كان الأوزاعي في الشام معظمًا مكرمًا أمره أعز عندهم من أمر السلطان، وقد هم به بعض الولاة مرة فقال له أصحابه: دعه عنك والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك. ولما مات جلس على قبره بعض الولاة فقال: رحمك الله، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذي ولاني ـ يعني المنصور"(١٥١).

١٤٥- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٦٢.

١٤٦- **الجرح والتعديل**، ج ١، ص ٢٠٣.

١٤٧- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٧٠، ١٧١.

١٤٨- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي المقدسي، **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تحقيق: فالح بن محمد الصغير، دار العاصمة، ط١، ١٤١٧هـ، ص١٩٠.

١٤٩- **سير أعلام النبلاء**، ج ٧، ص ٣٩٤.

١٥٠- **حلية الأولياء**، ج ٦، ص ١٤٣.

١٥١- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٧.

وكان الأوزاعي يحرص على حفظ الهيبة ويوصي بها ويحذّر من ضدها، فقال: "طالب العلم بلا سكينة ولا حلم كالإناء المنخرق كلما حمل فيه شيء تناثر"(١٥٢). وقال الوليد بن مزيد وعقبة بن علقمة: سمعنا الأوزاعي يقول: "ما أكثر عبد ذكر الموت إلا كفاه اليسير من العمل ولا عرف عبد أن منطقه من عمله إلا قلّ لغطه"(١٥٣).

ومن مهابته وقوة شخصيته ما قاله سليمان بن عبدالرحمن عن عقبة بن علقمة: أرادوا الأوزاعي للقضاء فامتنع وأبى فتركوه قال فقلت لعقبة: هم كانوا يكرهون الناس على ما يريدون فكيف لم يكرهوا الأوزاعي فقال هيهات إنه كان في أنفسهم أعظم قدرًا من ذلك(١٥٤). وقال إبراهيم بن محمد الفزاري: لو أن الأمة أصابتها شدة والأوزاعي فيهم لرأيت لهم أن يفزعوا إليه(١٥٥).

ومرد ذلك أن الأوزاعي كان حريصًا على تزكية نفسه وتربيتها والعناية بالفضائل حتى قيل: لقد عجزت الملوك أن تؤدب أنفسها وأولادها أدبه في نفسه(١٥٦).

المبحث السابع: قربه من الناس ورفقه بهم:

فلقد كان رفيقًا بعامة الناس فالرفق واضح جلي لمن قرأ سيرة الأوزاعي، ومرّ قول ابن المبارك قال: "لو قيل لي اختر لهذه الأمة لاخترت سفيان الثوري والأوزاعي ولو قيل لي اختر أحدهما لاخترت الأوزاعي لأنه أرفق الرجلين"(١٥٧). وفي رواية: "أحلم الرجلين"(١٥٨). قال صدقة بن عبد الله: ما رأيت أحدًا أحلم ولا أكمل ولا أجمل فيما حمل من الأوزاعي(١٥٩). قال أبو إسحاق الفزاري: ما رأيت أحدًا كان أشد تواضعًا من الأوزاعي ولا أرحم بالناس منه وإن كان الرجل لينادي فيقول لبيك(١٦٠).

١٥٢- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٨٥.

١٥٣- **الجرح والتعديل**، ج ١، ص ٢١٨.

١٥٤- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ٢٠٥-٢٠٦.

١٥٥- المرجع السابق، ج ٣٥، ص ١٧٢.

١٥٦- المرجع السابق، ج ٣٥، ص ١٥٧.

١٥٧- **تهذيب التهذيب**، ج ٦، ص ٢٤١.

١٥٨- **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٧٤.

١٥٩- المرجع السابق، ج ٣٥، ص ١٧٧.

١٦٠- المرجع السابق، ج ٣٥، ص ١٧٣.

وقال أيضًا: ما رأيت مثل الأوزاعي والثوري، فأما الأوزاعي فكان رجل عامة وأما الثوري فكان رجل خاصة نفسه ولو خيرت لهذه الأمة لاخترت لها الأوزاعي[١٦١]. فالمقصود برجل العامة هو من نصب نفسه لنفع الناس في الدين والدنيا وقد يدخل في مداخل لا يدخلها من كان خاصة نفسه بهدف نفع الناس كدخوله على الخلفاء وتصديه لظلم وقع على إنسان، وهذا لا شك أنه من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. أما رجل الخاصة فيقدم حظ نفسه دائمًا وما يصلحها وينفعها وإن كان في أمور الآخرة.

والقريب من الناس المخالط لهم يعرف لكل حالة لبوسها، وهذا ما يبرر قربه منهم فقد تنوعت واختلفت أساليبه الاحتسابية والدعوية، فتارة موعظة وتارة مكاتبة، وأخرى مشافهة، ومرة إنكار مباشر، فلم يقتصر رحمه الله على مسلك واحد وأسلوب بعينه. فجعل الله له القبول لدى الناس من غير تكلف، قال ابن كثير: وتأدب بنفسه، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه، ولا أورع ولا أعلم، ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم، ولا أكثر صمتًا منه، ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه، من حسنها، وكان يعاني الرسائل والكتابة[١٦٢].

الخاتمة:

الحمد لله أولًا وآخرًا والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وأسأل الله أن يكتب لهذا البحث القبول عنده والاستحسان والنفع لدى خلقه، وقد تبين من خلال هذا البحث ما يلي:

- لا بد للمحتسب من الأخذ بجانب كبير من العلم ممزوجًا بالتواضع حتى يكون أدعى لقبول الناس منه. وقد ظهر من خلال هذا البحث أن الأوزاعي كان عالماً فقيهًا عابدًا زاهدًا، مارس الحسبة بمفهومها العام دون الرسمي، وظهر جليًا ما لديه من الحنكة والخبرة والدراية والحكمة، ولا ريب حيث أدرك أحد عشر خليفة لا يحابي ولا يداهن في دين الله، وكان آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر همه إصلاح الناس ورفع الجهل عن نفسه وعن غيره، قريبًا من الناس متواضعًا في الوقت ذاته مهابًا ذا سمت وأدب مع نفسه يحترمه الخلفاء ويهابه الأمراء.
- يحسن بالمحتسب أن ينوع أساليبه الاحتسابية اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وقد اقتفى أثره العلماء من بعده، وقد ظهر من خلال هذا البحث تنوع أساليب الأوزاعي الاحتسابية فمنها

١٦١- كأنه يريد الخلافة وفي رواية: لأنه كان أكثر توسعًا، **تاريخ دمشق**، ج ٣٥، ص ١٧٢.

١٦٢- **البداية والنهاية**، ج ١٠، ص ١٢٤.

إنكاره المباشر للمنكر لا تأخير ولا توان. كما أنه مارس الحسبة عن طريق الكتابة والمراسلة بتميز فريد ورصانة في العبارات أعجزت كُتّاب الخلفاء أن يأتوا بمثلها.

- لا ينبغي للمحتسب أن يقتصر في إنكاره على جانب دون آخر بل يسعى للإصلاح في كل جوانب الحياة المختلفة. فقد كان للأوزاعي باع في احتسابه على البدع وأهلها بطرق شتى وعلى من تتبع الرخص وخادع نفسه.
- ولأن الأوزاعي كان عالماً ربانيًا لم تقتصر دعوته على صنف معين من أصناف المحتسب عليهم بل تنوعت أصناف المحتسب عليهم بين حاكم ومحكوم من عوام الناس ومتتبع للرخص ومبتدع وأصناف عدة من الناس، بل كان لأهل الكتاب نصيب من دعوته لهم برفق وإحسان ودفاع عن حقوقهم مما كان له بالغ الأثر فيهم.
- من أراد أن يقبل الناس منه احتسابه ودعوته لهم فليتأمل سير أهل العلم باحثًا عن دواعي قبول الناس منهم. فقد كان للحسبة عند الأوزاعي رحمه الله قوة وقبول وأن ذلك له أسباب منها ما يتعلق بشخصه ومنها ما يتعلق بظروف زمانه.

╓isbah in the thought and practice of Awz┐'└

This paper highlights the conception and practice of the institution of ╒isbah (moral evaluation and censure of human conduct) with Im┐m Awz┐'└ (88-157AH). Briefly emphasizing his place in the scholarship of the second century hijra, the writer proceeds to shed light on Awz┐'└'s distinctive contribution to the conceptual and practical aspects of ╒isbah. Awz┐'└'s bold and unequivocal yet wise and balanced mode of counsel provides a rich resource of understanding this important institution of Islamic polity and the contribution of Awz┐'└ to its active functioning. The writer has cited interesting and instructive instances of Im┐m Awz┐'└'s conduct in this behalf. He has also supplied significant specimens of his written counsels addressed to the rules of his time. Apart from the moral impact of these counsels, these specimens also display his acumen in literary composition that characterizes his prose.

****